

النص الأدبي وإشكالية التلقي في ظل العولمة

Literary texts and the problem of reception under globalization

مريم مرايحية *

جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله (الجزائر)

البريد الإلكتروني: meriem.meraihia@univ-alger2.dz

تاريخ النشر: 2025/06/07

تاريخ القبول: 2025/05/30

تاريخ الإرسال: 2025/03/20

المخلص:

يشهد العالم اليوم تحولات جذرية في شتى المجالات والميادين، وخاصة الآداب سببها المباشر الثورة التكنولوجية والتطورات الرقمية في مجال الاتصال، فالعولمة ومظاهرها وضعت الأدب على أعتاب أزمة حقيقية، فقد أدى شيوع استخدام وسائل الإعلام الرقمي بين أفراد المجتمع إلى ظهور إشكاليات في مفهوم التلقي حيث أحدثت تلك الوسائل الرقمية الحديثة تحولات واسعة في بعض المفاهيم للرسالة الاتصالية، سببها استهواء المجتمع واستسلامه لمغريات العوالم الافتراضية وعكوفه على مداعبة الأجهزة الذكية، فتراجعت بذلك نسبة قراءة الكتب وازدادت نسبة مشاهدة وحضور مواقع التواصل الاجتماعي، كل هذه التطورات جعلت الأدب وأجناسه يتعرضون لمتغيرات جذرية واختلال قوانينه دون أدنى شك، في ظل هيمنة الثقافة الواحدة، وستختلف بناء على ذلك المقاييس التي تقاس على أساسها الأعمال الأدبية. الكلمات المفتاحية: النص الأدبي - نظرية التلقي - الأجناس الأدبية - الرقمنة - الوسائط التقليدية.

Abstract:

The world Today is witnessing radical transformations in various fields and areas, especially literature whose direct cause is the technological revolution and digital developments in the fields of communication, since globalization and its manifestations have placed literature on the verge of a real crisis, the widespread use of digital/social media among members of society has led to the occurrence of problems in the concept of reception.

*المؤلف المرسل: مريم مرايحية

These modern digital medias have caused about widespread changes in some concepts of the communication message, caused by society's attraction and submitting to the temptation of virtual worlds and its preoccupation with the amusement of smart devices. Consequently, the rate of book reading has declined and the rate of watching and observing these social networking sites has increased all these developments have made literatures and its genres subject to substantial changes and disruption to its regulations with no doubts amid of the "single culture" dominance, which will accordingly differ the standards literary works are measured by.

Key words: Literary text – Reception theory – Literary genres- Digitization – Traditional media.

مقدمة:

لقد كان للتحويلات المادية والثقافية أواخر القرن العشرين تأثيرا كبيرا في عديد العلوم وخاصة الآداب، فقد وضعت العولمة الأدب على أعتاب أزمة حقيقية وقد تخلّى قسم كبير من المجتمع عن تلقي الخطابات الشفاهية، فضلا عن مفهوم التلقي الذي أصبح يفرض نفسه كمتغيّر أساسي في هذا السياق، مما أدى إلى ظهور العديد من التغيرات الجوهرية في عملية التلقي، فبرز الإعلام الرقمي بأشكاله وعناصره كوسيلة إعلامية اتصالية وكظاهرة واسعة الانتشار والاستخدام في مختلف دول العالم، أدى إلى ظهور تغيرات في الرؤى العلمية المفسرة للعملية الاتصالية وعناصرها، بحيث أصبحنا نرى اهتماما كبيرا في مفهوم التلقي.

إنّ العصر الذي نعيشه اليوم مغاير لما ألفناه سابقا، وقد شمل هذا التغير وسائطه التقليدية (الشفاهية – الورقية) ومن البديهي أن يتغيّر القارئ أيضا، فلم يعد ذلك الساعي وراء المتعة في حضور حلقات الشعر أو سمرات القصص لسماع الحكايات، فالقارئ اليوم ما هو إلا إنسان جديد يحمل طباع وأفكار عصره فأصبح الرقم يعبر بدل الحرف، فمع هذا الإنسان الجديد تغيرت طرق تلقي النص الأدبي بتغيّر طبيعة مبدعه وشكله واعتماده على تقنيات الوسائط المتعددة، فغاية تكنولوجيا المعلومات تحويل المتلقي من مستقبل سلبي إلى متلق إيجابي باستطاعته أن ينفذ إلى أعماق العمل الأدبي.

هذه التجربة الرقمية تمثل رافدا من روافد الحركة الأدبية المستقبلية في عصرنا الإلكتروني كونها تتعامل مع جيل وقارئ مختلف تماما في توجهاته جيل متصفح الإنترنت لا جيل الصحائف والدواوين، فالهدف الأساسي وراء ابتداع الأدب الرقمي هو إعراض الجماهير على قراءة الدواوين والروايات وعزوفها على حضور الملتقيات والأمسيات الشعرية، وهذا ناتج عن طبيعة العصر الراهن فالأدب الرقمي صار يسعى لاستمالة القارئ وجذبه.

إشكاليات البحث:

انطلاقاً من هذا كله سنطرح التساؤلات التالية:

هل تأقلم الأدب مع مستجدات العصر الرقمي أم وقعت له انتكاسة لم يشهدها من قبل؟
هل الأدب قادر على استيعاب الثورة الرقمية المتسارعة بكل ما تنفتح عليه من تقنيات وبرمجيات؟ وكيف
يستطيع الأدب أن يتأقلم مع مستجدات العولمة؟

فرضيات البحث:

تأسس البحث في هذا الموضوع على فرضيات عدّة أهمها:
سمحت المواقع الالكترونية ببروز عدد هائل من المبدعين الذين لم يتسن لهم نشر أعمالهم ورقياً.
سهلت هذه المواقع عملية التواصل بين المبدع والمتلقي.
زاوجت العولمة بين الأدب والفن تأخذ منه ويأخذ منها يتأثر بها وتتأثر به في علاقة تفاعلية.

أهداف البحث:

إنّ كل بحث علمي يهدف إلى اكتشاف حقيقة معينة أو تفسير ظاهرة ما، كما يهدف إلى توضيح
المفاهيم والتساؤلات المطروحة، ومن هنا نجد أن الهدف من هذه الدراسة يكمن في:
محاولة إبراز الآثار الإيجابية والسلبية للعولمة على النص الأدبي، والعمل على توفير معلومات ونتائج
علمية تؤكد صحة الفرضيات حيث يمكن على ضوءها توضيح نتائج العولمة وانعكاساتها على الأجناس
الأدبية.

منهج البحث:

ومحاولة منا للإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي بهدف تنظيم
المعلومات وتصنيفها ولا يقتصر على وصف الظواهر أو وصف الواقع كما هو، بل إلى الوصول إلى
إجابات تساهم في فهم الظاهرة، كما يمكن تعريفه بأنه المنهج الذي يصف الظاهرة محل الدراسة كما هي
في الواقع وذلك بجمع الحقائق والبيانات، ومن ثم تصنيفها وتحليلها، للوصول إلى نتائج وتعميمات فيما
يخص موضوع البحث، حيث يهدف إلى اكتشاف الواقع ووصف الظواهر وتحديد كميا وكيفيا وبالتالي
فالمنهج الوصفي التحليلي يهتم بوصف الظاهرة وتحليلها بشكل دقيق والتعبير عنها كميا وكيفيا.
والمبتغى من تقديم هذه المادة هو معرفة أهم التطورات التي مرت بها الأجناس الأدبية منذ بدايتها
حتى عصر الرقمنة وكيف أثر ذلك على عملية التلقي.

2-تحديد المصطلحات:

من أهم مراحل البحث العلمي مرحلة استعراض مفاهيم الدراسة، حيث أن لكل مفهوم أبعاد ومعاني وهذه الأبعاد تتمحور حولها مجموعة من المؤشرات قد تختلف من مفكر لآخر، أو من مجتمع بحث لآخر، وهذا ما دفعنا إلى تحديد وضبط مجموعة المفاهيم التي تتمحور حولها هذه الدراسة بغرض رفع الالتباس وتوضيح الغموض الذي قد يكتنف بعض المفاهيم الواردة في هذا البحث وهي:

2-1-النص الأدبي:

يعتبر النص الأدبي ركيزة أساسية وظاهرة لغوية تحمل مبنى لغويا وجماليا، تبتعد في الغالب عن المؤلف، لأنها بمثابة مثير له خصائص الجدّ والقدرة على إثارة الإعجاب، وقد وضعت تعريفات عدة لمفهوم النص، وذلك نظرا لاختلاف الاتجاهات وتنوع المدارس الأدبية والنقدية، التي جاءت نتيجة لاختلاف المشارب الثقافية والمنابع المعرفية؛ فالقارئ يقف أمام مجموعة كبيرة من المفاهيم، وركام هائل من التعريفات التي تسعى إلى تحديد ماهية النص، انطلاقاً من خلفيات متفرقة، ويبدو أن التباين حول تحديد ماهية النص، وحدوده، يكمن بشكل رئيس في اختلاف التصورات لمفهومه والهدف من دراسته، والغاية من تحليله، والتعمق مع أبعاده، "فالنص الأدبي يعد كلاما لغويا تعبيريا وتبليغيا في إطار حقل معرفي محدد، إنه ممارسة لغوية أو فكرية أو علمية أو إبداعية أو فنية أو ثقافية أو تعليمية أو شعرية أو نثرية... وبهذا المعنى فإنّ القصيدة والقصة والرواية والمحاضرة ونشرة الأخبار والمقال الصحفي والومضة الإشهارية والبحث العلمي تعد نصوصا على حدّ سواء وإن اختلفت هذه الأنواع اختلافا بيّنا واضحا"¹.

والنصوص الأدبية "تعتبر وعاء التراث الأدبي الجيد، قديمه وحديثه، نثره وشعره ومادته، التي عن طريقها يتمّ إنماء مهارة المتعلمين اللغوية والفكرية والتعبيرية، والتذوقية، بحيث تحتوي على مجموعة من الأسس والقيم الوطنية والقومية والعالمية التي على أساسها اختيرت هذه النصوص لتمثل التراث بكل تطورات ومسيرته"²، ولا شك في أنّ النص يعتبر من أكثر المصطلحات رواجاً وأهمها على مستوى الدراسات المعاصرة.

وقد أكّد الناقد **عبد المالك مرتاض** على أنّ النص يمثل مؤسسة قائمة بذاتها لكل من يقرأه ليؤوله أو ليستعمله بمعزل عن قصدية المؤلف، وقصدية التأليف، كما أن النص يُعطي كل قارئ ما لا يعطيه لقارئ آخر، فالنص هو الواحد المتعدد، وهو القديم المتجدد، وكل قراءة للنص تتجدد وتتعدد، فالنص الأدبي جوهر قائم بذاته، "إنّ النص الأدبي ليس مجرد تفاحة لذيذة، نلتهمها بشره، ثم لا نكاد نفكر في الشجرة التي أنثمرتها، بل إنه روح، ونفس وقبس، وجمال، وحكمة ولغة... النص هو كالقدر والكتابة هي الكاتب تابعا بين كلماتها حيث تضحكك أو حين تبكيك أو حين تمتعك، أو حين تؤذيك، وعلى هذا فإنّ

النص الأدبي عبارة عن قطع مختارة من التراث الأدبي، يتوفر فيها الجمال وتعرض فكرة متكاملة أو عدة أفكار مترابطة³.

ومن مجمل التعاريف والقراءات المقدمة نخلص إلى أن النص الأدبي هو بنية فريدة في أسلوبها وموضوعاتها، وهو ما يجعله مختلفاً عن أنواع الكتابات الأخرى، إذ يسعى إلى تحليل المشاعر والعواطف وتقديم رؤى فلسفية حول الحياة، على غرار النصوص العلمية والتقنية، التي تركز على تقديم الحقائق والمعلومات بشكل موضوعي.

2-2- نظرية التلقي:

أصبح للمتلقي مكانة هامة في الدراسات الحديثة، بعد أن كان عنصراً مهماً بين عناصر العملية الإبداعية، فهو يسهم في إبداع العمل الأدبي، بحيث يضفي خبراته وثقافته على هذا النص، وما النص إلا نتاج يرتبط مصيره التأويلي بآلية تكوينية ارتباطاً لازماً، فتكوين النص يعني تطبيق استراتيجية عليه تتضمن توقعات حركة الآخر، والآخر هو القارئ بطبيعة الحال، حيث يتخطى القارئ حدود البنية اللغوية المغلقة إلى عوالم وفضاءات واسعة القراءة والتأويل.

وقد شهد هذا المصطلح اختلافاً كبيراً من حيث تداوله، ويعود هذا الإشكال إلى تداول هذا المصطلح من بيئة إلى أخرى، فإذا رجعنا إلى المعاجم الأجنبية الفرنسية والانجليزية نجدها تتفق على أن التلقي هو الاستقبال والترحاب والاحتفال، فنجد "أولريش كلاين Klein Ulrich يعرف مصطلح التلقي في معجم الأدب" قائلاً: « يفهم من التلقي الأدبي - بمعناه الضيق - الاستقبال (إعادة إنتاج ، التكيف والاستيعاب ، التقييم النقدي) لمنتج أدبي، أو لعناصره بإدماجه في علاقات أوسع » فالتلقي نزوع إدراكي يتهياً لاستقبال الموضوع الجمالي⁴.

وقد ترجمت نظرية التلقي Reception Theory إلى النقد العربي ترجمات عدة؛ منها ترجمة "رعد عبد الجليل جواد" حيث عنون مؤلف "روبرت هولب Ropert -Holippe" بعنوان "نظرية الاستقبال"، بينما ترجم "عز الدين إسماعيل" الكتاب نفسه بمصطلح "نظرية التلقي"، كما اختار "حسين الواد" ترجمتها إلى "جمالية التّقبل" نبيلة إبراهيم" فقامت بتسميتها بـ: "نظرية التأثير والاتصال" كما جاء في مجلة فصول، وبالنسبة "لمحمود عباس عبد الواحد" فعنده "قراءة النص وجماليات التلقي"، ونجد إلى جانب هؤلاء "سامي إسماعيل" الذي بدوره يسميها في كتابه "جماليات التلقي"⁵.

وقد نشأت نظرية التلقي مع نهاية الستينيات من القرن العشرين بألمانيا، على يد كل من الأستاذين "هانز روبرت ياوس Jauss Robert Hans" و"فو لفغانغ ايزر constance كونستانس جامعة من Wolf gang Izer التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بنظرية التلقي حتى أصبح ذكر إحداهما

يستلزم الأخرى، بما قدمته من طروحات جديدة ومفاهيم نظرية، حولت مجرى الدراسات الأدبية والنقدية؛ وذلك أنها أعادت بناء تصور جديد لمفهوم العملية الإبداعية من حيث تكوينها عبر التاريخ، وطرق فعالية القراءة ودور المتلقي في إنتاج هذه العملية⁶.

ونظرية التلقي تتميز عن غيرها من المناهج السياقية والنصّانية التي تناوبت السلطة في الساحة النقدية وقتاً طويلاً من الزمن بإعطاء السلطة للمتلقي بدون أدنى مناوئ، وبوأته المكانة اللائقة على عرش الاهتمام الذي تناوبه المؤلف والنص من قبل، وما يحدثه هذا الاهتمام من إنشاء فرص أكثر بين النص ومتلقيه حيث اتخذ الاهتمام بدور القارئ في دراسة النص الأدبي حيزاً كبيراً ومهماً في الدراسات النقدية الحديثة... فقد تم تجاوز النظرة السائدة التي كانت تنظر في العلاقة القائمة بين المبدع والقارئ على أنها علاقة منتج ومستهلك⁷.

2-3-العولمة:

أصبحت العولمة بمثابة السمة البارزة لهذا العصر، ولا يكاد يخلو أي نقاش في مجالات المعرفة الإنسانية من استعمالات هذا المصطلح سواء بالقبول أو بالرفض وقد تجاوز الأطر المعرفية المتخصصة ليشمل الأطر السيسولوجية لمجريات الحياة، فالعولمة هي بروز عالم بلا حدود اقتصادية، سياسية وثقافية، وفكرية، وبالتالي ثقافة عالمية موحدة ومجتمع عالمي واحد، ذلك أنّ العولمة هي حقيقة حياتية جديدة، فقد أصبح العالم قرية كونية كما وصفها عالم الاجتماع الكندي مارشال مالكوهن، مرتبطة بسوق إلكترونية أو فضاء إلكتروني واحد تنتقل فيه المعلومات في شتى المجالات بسرعة الضوء في عالم لا يوجد فيه مكان للسرية.

وترجع أهمية العولمة إلى تباين أبعادها، إذ لم تقتصر انعكاسات هذه الظاهرة على مجرد التأثير على واقع العلاقات السياسية والاقتصادية الدولية فحسب وإنما جاوزت ذلك لتشمل التأثير على الأوضاع كثيرة ثقافية فكرية وفنية، لذا فإن التشابك الذي يرتبط بالعولمة جعل من كل الموضوعات المتصلة بها خاضعة للبحث، وقد اختلف المؤرخين حول التحديد الدقيق لميلادها بالرغم من اتفاقهم الجماعي على مكان انطلاقها وبداية تطورها الذي كان في أوروبا، كنتيجة حتمية الثورة الصناعية، التي شهدتها أوروبا. و"العولمة في الحقيقة هي ترجمة لكلمة **Globalization** المشتقة من كلمة **Globale**، أي الكرة، والمقصود الكرة الأرضية، ويتحدث علماء الاجتماع في مجال التحديث عن **Global culture**، أي الثقافة العالمية، و **Globalization**، اصطلاحاً باللغة اللاتينية تدل على مشروع لمركز العالم في حضارة واحدة"⁸.

وهناك من يرى أنّ العولمة "مرحلة جديدة من مراحل تطور الحداثة، تتكاثف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي بروابط اقتصادية، ثقافية كسياسية، هذه الروابط لا تعني إلغاء المحلي كإحلاله واستبداله بالعالمي ولا تعني استبدال الداخل بالخارج، وإنما تعني إضافة بعد جديد لما هو محلي بحيث يصبح العالم الخارجي بنفس حضور العامل الداخلي في تأثيره على الأفراد كالمجتمعات".⁹

يبدو أنه من الصعب صياغة مفهوم دقيق ومحدّد للعولمة فهي تتضمن عالما بلا حدود جغرافية أو اقتصادية أو ثقافية أو سياسية، وأن هناك أنواع أخرى من العولمة، أما العولمة الكاملة فإنها لم تحدث بعد، لأنها تحتاج إلى ثقافة عالمية واحدة وقيام حكومة موحدة، وهو ما رأيناه في تعريفات العولمة المتنوعة التي تختلف من باحث إلى آخر ومن مفكر إلى آخر.

3- تحديات النص الأدبي في ظل العولمة:

لقد واكب الأدب الإنسان خلال مسار تطوره واستلهم منه أدواته التعبيرية فضلا عن أفكاره ومواضيعه، فالأدب تبعاً لطريقة عرضه قد مرّ بثلاث مراحل مستنداً في ذلك على مراحل تطور الفكر الإنساني، بدءاً بالشفاهية، الكتابية وصولاً إلى الرقمية، والمتابع للحركة الأدبية يلاحظ التحولات التي مست مختلف أجناسه وأنواعه والتغيرات المختلفة التي أدت إلى تغييرها سواء على مستوى المضمون أو الشكل، فالأجناس الأدبية تتغير لأنها معطى متغير وغير ثابت وذلك نتيجة للتنامي والتراكم النوعي والكمي للكتابات الأدبية، فالأنواع الأدبية كالشعر والرواية والمسرح استجابت لأغراض ومتطلبات معينة في فترات زمنية محدّدة، لم تعد تستجيب لها في الوقت الراهن، لأنّها في حالة مستمرة من التطور فتتغير وتتطور حسب كل مرحلة من مراحل تطور الأدب، وعليه سنحاول رصد أهم المحطات التي مرّت بها الأجناس الأدبية (الشعر-الرواية-المسرح)، ومعرفة التغيرات التي طرأت عليها بداية من الشفاهية والكتابية حتى الوقت الراهن مع العولمة.

3-1- الشعر:

لقد سابر الشعر في مراحل تطوره الفكر الإنساني، وهذا ما نوهت إليه الناقدة فاطمة البريكي، فقد لخصت المراحل التي مرّ بها الخطاب الأدبي إلى ثلاثة مراحل أساسية المرحلة الشفاهية والمرحلة الكتابية والمرحلة الإلكترونية، واختارت أن تصف المرحلة الثانية بالورقية، لتصبح: الكتابية كمقابل للشفاهية، والورقية كمقابل للإلكترونية¹⁰.

عرف الإنسان منذ القدم الكلام الشفاهي، فقد كان وسيلة للتواصل إذ لم يكن غير تبادل الأصوات متداولاً بين الناس إلا أنّ ذلك لم يقف حائلاً بين الإنسان والإبداع، حيث ترى روائع أدبية على درجة عالية من الجودة الفنية والصياغة اللغوية، والتصوير الدقيق لمختلف مناحي الحياة آنذاك، فالشعراء الأوائل كانوا

يلقون قصائدهم مشافهة ليحفظها الرواة ويقومون بدورهم بإلقائها، "فالأديب قديما كان يلقي نصّه أو قصيدته إلى جمهور المتلقين عن طريق الصوت ويحدث التلقي من خلال السماع ويتم الحفظ عن طريق الذاكرة، والنشر عن طريق الرواية وتتحقق الشفاهية بحضور جميع أطراف العملية من مرسل ونص ومرسل إليه في نفس الزمان والمكان"¹¹.

فالشعر يتميز بخاصيته الإيقاعية التي تسهل حفظه وتداوله وقد نال القسط الأوفر من الاهتمام، وبما أنّ القصائد آنذاك كانت تعتمد المشافهة والسماع إنتاجا وتلقيا حيث تلقى إنشادا في الأسواق والمهرجانات التي تقام سنويا، وفي الحروب أيضا، فيقوم الرواة بحفظها ونشرها، فالصوت كان العنصر الفنيّ الأبرز في التشكيل الشعري، حيث لجأ الشاعر إلى " وسائل فوئ لغوية Extralinguistique للتأثير كالتلوين الصوتي من خلال النبر والتنغيم ومط الكلام واقتضابه، وما يصاحب الحديث من حركات الوجه واليدين والعينين"¹².

وبما أنّ الإبداع المتداول شفهيّا معرض للنسيان والضياع مع مرور الزمن، فإنّ هذا الأمر دفع الإنسان إلى البحث عن وسيلة أخرى تحفظ له موروته وتكون أكثر فاعلية في التواصل، من هنا تم اختراع الكتابة بوصفها عملية تحويل النص من صورته السمعية الشفاهية إلى صورته الخطية الكتابية، ليكون الانتقال من "الرواية الشفوية إلى التدوين عبر عملية القراءة والاحتفاظ بالنص وتخزينه من خلال المخطوط"¹³، ولقد كان التطور في شكل الكتابة مصحوبا بجهود كبيرة من أجل تطوير أدواتها والمواد التي تحويها، فكتب الإنسان قديما على ألواح فخارية وأخرى خشبية، كما استعمل أوراق البردي والرق ليضمنها أرقى ما جادت به قريحته مستمدا كل أدواته تلك بما أتاحت له الطبيعة.

ومع مرور الزمن تمكّن الإنسان من اختراع وسيلة أخرى أكثر فاعلية، فكانت «صناعة الورق من الصين ثورة في حدّ ذاتها، ليتحرر الأدب عامة والشعر خاصة من سيطرة الذاكرة المحدودة، وازدادت أهمية الكتابة بعد اختراع "جوهانس غوتنبرغ Gohan Gutenberg"، أول ماكينة للطباعة والتي يعتبرها «دوبريه» البداية الحقيقية لعصر الكتابة»¹⁴.

طور الإنسان إبداعاته فظهرت أجناس أدبية جديدة، كانت محدودة التداول في مرحلة سابقة لصعوبة حفظها، فعرف الشعر تطورا كبيرا، حيث خفّ التركيز على عنصر الإيقاع بعد أن كان ضروريا لتسهيل الحفظ، وظهرت أشكال شعرية جديدة تمثلت في شعر النغيلة، وقصيدة النثر وعلى الرغم من عجز الكتابة عن نقل مؤثر صوتي مصاحب للنص الشعري إلا أنّ هذا الأخير خطى بخطوط ورسوم عززت من تأثير الكلمة، فأصبح، الخط وعلامات الترقيم والبياض وغيرها من العلامات الخام بالكتابة

مكونات ذات دلالة، وبات غياب أحدها يفقد النص جزءاً من دلالاته وهنا فقط يمكن الحديث عن الشعر الكتابي الذي تصبح الكتابة عنصراً من عناصر بنائه الفني.

الكتابية تحقق للمتلقي التحرر من قيود الزمان والمكان، بحيث يستطيع قراءة أية رواية أو قصيدة في المكان والزمان الذي يريده هو لا الذي يريده الأديب لأنّ الكتابة لا تستقر ولا تلتزم حدود منشئها كما أنها لا تزول بموت مؤلفها بل تبقى صامدة عبر طور السنين، أما الأدب الشفاهي ففيه يقف الموروث الشفاهي واقفاً وصامداً ومؤكداً على القيم الإنسانية، ومن المؤكد أنّ الكتب هي التي حافظت على الأدب فلولاها لضاع، لكنّ كلّ هذا لم يحفظ للكتاب مكانته فما أن لبث أن تربع عن عرشه حتى ظهر منافس جديد يزاحمه، وبدأ مع الثورة المعلوماتية والحاسوب ومن بعده شبكة الإنترنت، وبالتالي دخل الأدب عامة والشعر خاصة مرحلة جديدة سميت بالمرحلة الإلكترونية.

وعلى الرغم من أنّ الوسيط الجديد فتّى إلا أنه سرعان ما احتوى جميع الفنون والآداب بكل أشكالها، "فاختلاف الوسيط من الورق إلى الشاشة الزرقاء وجهاز الحاسوب والانترنت، أثر في طبيعة الإنشاد الشعري من حيث أنها لم تعد محض فن كلامي فحسب، وإنما اقترنت بجملة من الفنون البصرية، كالرسم والنحت والتصوير السينمائي والفنون السمعية"¹⁵، كل هذه المؤثرات أدت بالجمهور إلى الإعراض عن تلقي الخطابات الأدبية وقراءة الدواوين الشعرية.

بقيت المؤلفات الكتابية بعيدة عن رغبة المتلقي المعاصر لأنها تفرض عليه ضرورة الإصغاء والمتابعة، وهو ما ينفر منه الإنسان المعاصر الذي يميل إلى الاستهلاك السريع وعدم الاستقرار وهذا ما حققته له الوسائط البعيدة، فقد أعطت العولمة للإنسان ما هو أمتع من الأدب الشفاهي والكتابي بكثير، ولعل السر وراء توجه الجماهير الكبير نحو متابعة الوسائط الجديدة هو احتوائها على جميع العناصر التي تحقق الإمتاع من الأصوات الموسيقية والصور فائقة الدقة، وهذا ما وجده المتلقي في ما يسمى بقصائد الفيديو الرقمية والتي تنشر على أشهر موقع الكتروني وهو اليوتيوب، فهذه القصائد قد حققت انتشاراً واسعاً مقارنة بالدواوين المكتوبة، فنجد أنّ معظم القصائد التي لها صيغ واسع قد ساهمت في انتشارها الرقمنة على غرار "قصيدة القدس" لتميم البرغوثي التي حققت ملايين المشاهدات، وقصيدة "زيدني عشقا" لنزار قباني نالت مشاهدات كثيرة خاصة بعد ما غناها العراقي كاظم الساهر، وكذلك قصائد محمود درويش، وشعراء آخرون، فالقصيدة الرقمية تشير إلى النص الذي يستثمر تقنيات بسيطة مما تنتجه التكنولوجيا، حيث يستعين بعناصر حركية ومؤثرات صوتية أو صوتية"¹⁶.

كل هذه المؤثرات تستقطب أكبر عدد من الجماهير فدخل النص الأدبي عامة والشعري خاصة إلى الوسائط الرقمية، يعني انتقاله إلى القناة الأكثر استقبالا من الجمهور، وهذا ما جعل أدباء اليوم

يكتبون وينشرون كتاباتهم عبر الوسائط الرقمية، لأنها باتت لغة اليوم والشغل الشاغل للجمهور فهناك الكثير من الأعمال الأدبية لم تلق الشهرة الكافية إلا من خلال الوسائط الرقمية.

3-2- الرواية:

تعد الرواية أحد أهم الأجناس الأدبية، وجد فيها الكتاب والمبدعون أرضاً خصبة لممارسة إبداعاتهم ففيها تنوع وفنية مبتكرة، تعتمد على السرد والنثر، فنجد **عبد المالك مرتاض** يعرفها بقوله في كتاب نظرية الرواية: "الرواية من حيث هي جنس أدبي راق، ذات بنية شديدة التعقيد متراكبة التشكيل، تتلاحم فيما بينها وتتظافر لتشكل لدى نهاية المطاف شكلاً أدبياً جميلاً يعترى إلى هذا الجنس الخطي، فاللغة هي مادته الأولى، والخيال هو الماء الكريم الذي يسقي هذه اللغة تنمو وتربو، وتمرع وتخصب"¹⁷، الرواية بهذا جنس أدبي راق لها بنية مكوّنة من تراكيب معتمدة تتداخل فيما بينها لتقدم لنا شكلاً أدبياً جميلاً.

عرفت الرواية المكتوبة عدة أنواع أولها الرواية التقليدية وسميت هكذا لأنها تعبر عن رؤية تقليدية ورتيبة للعالم بحسب رأي بعض النقاد، وظهر نوع آخر عرف بالرواية الحديثة تعبر عن وعي جمالي أكثر نضجاً وتطوراً، بعدها ظهر نوع آخر عرف بالرواية الجديدة وقد كانت بمثابة ثورة على النوعين السابقين وسميت بذلك لأنها تتطوي على كل ما هو جديد¹⁸، هذه المرحلة الأخيرة زخرت بروايات كثيرة ومتنوعة كرواية "الأسود يليق بك" لأحلام مستغانمي و"ذاكرة الجسد" التي جسدت بعد ذلك على شكل مسلسل تلفزيوني، ورواية "أولاد حارتنا" لنجيب محفوظ، "ساق البامبو" لسعود السنعوسي والتي تم تجسيدها بعد ذلك أيضاً إلى مسلسل تلفزيوني، والكثير من الروايات المكتوبة والمطبوعة.

مع اندلاع الثورة التكنولوجية وما حملته معها من وسائط أولها التلفاز كذلك الحاسوب والأقراص المضغوطة، وما وفرتة الإنترنت من فضاءات للقاء كالمندديات ومواقع التواصل الاجتماعي كل هذا أدى إلى خلق جنس أدبي جديد، نطلق عليه بالرواية الرقمية أو رواية الفيديو، فمع وجود الشبكة العنكبوتية أصبح المتلقي يتمتع بأعلى درجات التحرر الزماني والمكاني وبمجرد دخول العمل الأدبي إلى التلفاز والحاسوب أصبح أدباً رقمياً، وهو أسهل بكثير من الأدب المكتوب، وهو ما يجذبه القارئ المعاصر، فالיום نجد معظم الروايات قد تمّ تكييفها إلى مسلسلات وأفلام، وأغلب الأعمال التي حفرت في تاريخ الأعمال الفنية هي أعمال أدبية، منها مسلسل "واحة الغرب" وهو مسلسل بنفس عنوان الرواية لبهاء الدين الطاهر، وكذلك أفراح القبة لنجيب محفوظ، التي تم تحويلها إلى عمل تلفزيوني، قد نال نسب مشاهدة عالية، كذلك كتب الأديب الفلسطيني السوري حسن سامي يوسف رواية "عتبة الألم" استوحى

منها المسلسل الناجح "الندم" هذا المسلسل حقق أيضا متابعة عالية داخل المجتمع العربي عامة والسوري خاصة.

والأعمال التي تم تحويلها إلى مسلسلات وأفلام كثيرة ، فقد شهدت الشاشة العديد من الأعمال الروائية التي حولت إلى مسلسلات تلفزيونية أو أفلام سينمائية، فالاعتماد على نص روائي يعد بمثابة نقطة قوة للعمل، ولو أن بعض النقاد ما يزلون يصرون على أن العمل الدرامي أو السينمائي لا يعطي الرواية حقها، فمن الضروري تحويل الرواية إلى فيلم أو مسلسل، ما يزيد الإقبال على قراءتها واقتنائها للغوص في أحداثها، وهذا ما يوضح أن العلاقة بين الأدب والفن وطيدة وطويلة فلطالما أخذ الفن ينقل الأحداث والروايات التي تخطيطها الكتب عبر سطورها، فالرواية مصدر إلهام لعدد كبير من مخرجي السينما والدراما لتقديم أعمال فنية ناجحة، وهذا ما صار يفضلته متلقي العصر، فهو إنسان إلكتروني رقمي بالدرجة الأولى.

وهو ما وفرته له الوسائط الجديدة فكبسة زر يجد كل ما يريده وبأعلى وأدق التقنيات، لهذا نجده قد نفر من الروايات المكتوبة لأنها تكبله وتستلزم منه التآني والتركيز أثناء قراءتها، ففي مقارنة بين الرواية والفيلم قال أحد النقاد أن الفيلم هو لأولئك الذين يتكاسلون عن قلب الصفحة، وهذا ينطبق على جمهور اليوم، فالوسائط الرقمية قد سيطرت على حياته، وأثرت على عملية التلقي لديه.

3-3- المسرح:

ظهر اهتمام الإنسان بالفن منذ العصور القديمة، فانتبهوا إلى المسرح وأدركوا أهميته واعتبروه وسيلة فنية تعبيرية وأدبية، فعلى مدى القرن الماضي كان هناك رواج للفنون المسرحية وإقبال عليها، والكتابة المسرحية كانت الخطوة الأولى لإنتاج نص مسرحي قابل للتمثيل، فهو "يحمل رسالة خاصة إلى المتلقي تتمثل في تحمل المسؤولية لتطهير المجتمع والمحافظة على تماسكه وفق عاداته وتقاليده كما تهدف هذه الرسالة إلى الحث على القيم وإصلاح ما فسد منها لتحقيق أهداف أخلاقية من خلال إدخال بعض العناصر الشفوية والعادات والتقاليد التي تبرز المجتمع في أحسن وأعرق صورة"¹⁹.

وقد سمي المسرح بأبو الفنون، فهو بمثابة الوسيلة التي يضمّنها الأديب مجموعة أفكاره، و المسرح العربي قد شهد الازدهار في الستينات، ويعود ذلك إلى ظهور كُتّاب أخلصوا لهذا الفن وأبدعوا فيه مسرحيات مهمة ومؤثرة في المجتمع، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر سعد الله ونوس، محمد الماغوط، محمود دياب، توفيق الحكيم، صلاح عبد الصبور، مصطفى الحلاج، فاروق جويدة يوسف العاني، صقر الرشود، هيثم الخواجة، إلا أنه شهد تراجعاً ملحوظاً في العقدين الأخيرين لأسباب عدّة، أبرزها غياب الإبداع في النص المسرحي هذا إلى جانب الحروب والعوامل الاقتصادية المتردية في كثير

من البلدان العربية، لذلك تنازل المتلقي العربي عن ثقافته العربية واكتفى بمشاهدة ثقافة غيره بل وصل به الأمر إلى التقليد مع تجاهل الأعمال الغربية المنافسة للثقافة والمرتبطة ببعض القيم الدينية والاجتماعية والأخلاقية التي وصمت الكثير من هذه الأعمال.

والمسرح أمام ثقافة الرقمنة من سينما وإنترنت قد تراجع دوره، وهو ما جعله يعاني ويمر بأزمات صعبة، ليكون بذلك المتلقي قد أدار ظهرة للمسرح، لذلك نجد الغيورين على هذا الفن "يشددون على ضرورة اهتمام المحطات التلفزيونية بالمسرح وشؤونه، فالتروجيه عبر وسائل الإعلام المرئية يسهم في جذب شريحة كبيرة من الجمهور، كما أن الربط بين المسرح والتكنولوجيا بات مطلباً أساسياً للتألق بالمسرح، ويساعد على انتشاره وتوسيع قاعدته"²⁰.

يسعى المسرح في ظل هذه الوسائط الرقمية التأقلم مع شروطها، لذا نجد رواد الفن الرابع يسعون لبناء علاقة من نوع ما مع الشبكة العنكبوتية وصفحات الشبكة العنكبوتية، الأمر الذي أدى لظهور عدد لا بأس به من المواقع الإلكترونية التي تُعنى بالمسرح، ولكن قبل ذلك ظهر ما يسمى بمسرح التلفزيون حيث هو الأكثر انتشاراً من العدد المحدود في دور العرض المسرحي التقليدي، ثم راجت فكرة المسرح المسجل على شرائط الفيديو وعرضها على " DVD "، فنشأ ما يسمى بالمسرحية التفاعلية، هذه التقنية جعلت المسرح التقليدي يختلف عن المسرح الرقمي في العديد من الأمور منها أن المسرح التقليدي يعتمد على واقع محسوس في التقديم فيتشكل من خشبة وصالة عرض وجمهور، بينما التفاعلي الرقمي قد يقيم عروضه في بيئات كثيرة قد تكون واقعية أو افتراضية كما أن الجمهور في المسرح جالسون ويتلقون النص/العرض، بينما في التفاعلي فهم مشاركون في العرض، كذلك في المسرح التقليدي لا يتخذ الجمهور أي قرار في الأحداث، عكس التفاعلي فهو يتدخل في الأحداث فيضيف عليها خصوصاً عبر تقنيات الرقمنة²¹.

وعليه يمكن القول بأن المسرح التفاعلي أو الرقمي ضرورة فرضتها التقنية المعاصرة والثقافة الرقمية التي تختصر الزمن والمسافة، فما كان على المسرح إلا الأخذ بها ليرتقي ويصل إلى كل الشرائح محققاً أهدافه، كما يعد وسيلة استقصاء مهمة لتوجهات الجمهور من خلال تعليقاتهم ومشاركاتهم في العمل.

خاتمة:

تمثل التجربة الرقمية رافدا من روافد الحركة الأدبية كونها تتعامل مع متلقى مختلف تماما في توجهاته، فالهدف الرئيس من ابتداع الأدب الرقمي هو إغراض القارئ عن كل ما هو ورقي، فهي تحاول استمالتها في ظل نفوره وعزوفه، وباندماج الأدب مع التكنولوجيا لم يبق الأدب حبيس تلك الدائرة الضيقة المتمثلة في الشعر والنثر، بل أصبح يحوي جميع الفنون، تأخذ منه ويأخذ منها يتأثر بها وتتأثر به في علاقة أقصى ما نصفها أنها تفاعلية، كأن نرى بأن السينما تأخذ من الأدب النص، فما السينما إلا نص الأديب تحول إلى عمل سينمائي، والمسرح هو شكل عتيق من أشكال الأدب، ولذا يبدو جليا وواضحا أن ذلك السور الذي كان مبنيا بين الآداب وبقية الفنون قد سقط وانهار.

هوامش البحث:

- 1 - إبرير بشير، 2007م، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، الأردن، عالم الكتب للنشر والتوزيع، (دط)، ص129.
- 2 - حسن عبد الفتاح، 2001م، أساليب تدريس اللغة وآدابها، بيروت، لبنان، دار الكتاب الجامعي، ط1، ص27.
- 3 - عبد المالك مرتاض، القراءة بين القيود النظرية وحرية التلقي، مجلة تجليات الحداثة، ع4، ص39.
- 4 - علي حمودين، المسعود قاسم، إشكالات نظرية التلقي: المصطلح، المفهوم، الإجراء، مجلة الأثر، الجزائر، ع25، جوان، 2016م، ص306.
- 5 - المرجع نفسه، ص306.
- 6 - ينظر: محمد بوحسن، نظرية التلقي والنقد الأدبي الحديث، نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات، ع24، جامعة محمد الخامس، المغرب، (دط)، (دت)، ص2.
- 7 - ينظر: موسى سامح رابعة، جماليات الأسلوب والتلقي، دراسات تطبيقية، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، [دت]، ص09.
- 8 - محمد مراد بركان، 2001م، ظاهرة العولمة، دار الكتب القطرية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر، ط1، ص91.
- 9 - محمد غربي، تحديات العولمة وآثارها على العالم العربي، مجلة اقتصاديات، شمال إفريقيا، الشلف، الجزائر، ع06، ص20-21.
- 10 - ينظر: فاطمة البريكي، 2006م، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص17.
- 11 - ياسين صلاح، النقد الأدبي ورهانات ما بعد الحداثة، 2018م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص نقد أدبي، قسم اللغة العربية وآدابها، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ص126.
- 12 - نبيل علي، 1994م، العرب وعصر المعلومات، عالم المعرفة، (دط)، الكويت، ص276.
- 13 - سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، (مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي)، ص17.
- 14 - فطيمة ميجي، 2013م، البنية الدلالية للشعر التفاعلي الرقمي، (تبايح رقمية لسيرة بعضها أزرق نموذجاً)، مذكرة لنيل درجة الدكتوراه تخصص الدراسات الدلالية، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص21.

- 15 - المرجع نفسه، ص 23.
- 16 - المرجع نفسه، ص 30.
- 17 - مرتاض عبد المالك، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، (دط)، عالم المعرفة، الكويت، سنة 1998م، ص 27.
- 18 - فطيمة ميجي، البنية الدلالية للشعر التفاعلي الرقمي، ص 30-31.
- 19 - دورة أكاديمية محكمة يصدرها مخبر النص والمسرح الجزائري، جمع ودراسة في الأبعاد الفكرية والجمالية، مجلة النص، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بالعباس، الجزائر، جانفي 2016م، ع 03، ص 16.
- 20 - شبير دارين، أوجاع تنهش جسد "أبو الفنون"، <https://www.albayan.ae>
- 21 - فاطمة البريكي، ص 99.